دور الأسرة العراقية في تنمية المسؤولية الاجتماعية

د. إحسان محمد الحسن [*]

مقدمة تمهيدية:

تعد الأسرة العراقية من أهم الجماعات المؤسسية المسؤولة عن تربية الجيل الجديد وتقويمه والارتفاع به مستويات ترتقي الى طبيعة التحديات والأخطار التي تهدد استقرار الأسرة العراقية وأمنها الاجتماعي وتنميتها وضمان حاضرها ومستقبلها. وعملية التربية الأسرية التي تضطلع بها الأسرة العراقية تهدف إلى تعميق المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء، تلك المسؤولية التي تجعلهم مدركين للمهام والواجبات التي تناط بهم، ومستوعبين لطبيعة المرحلة التاريخية التي يمر بها مجتمعهم العراقي، ومتسلحين بالوعي الاجتماعي والسياسي الذي يمكنهم من درء الأخطار ومواجهة الصعاب، ومسلحين بماهية ما ينتظره المجتمع منهم من أعمال مهمة وتضحيات جسيمة وعطاءات غير محدودة تضمن مسيرة المجتمع نحو تحقيق أهدافه العليا[١]. ومدركين أخيرا لطبيعة القيم والممارسات السلوكية التي ينبغي الحلي بها لكي يكونوا أدوات فاعلة في البناء وإعادة البناء والتغير الاجتماعي والحضاري المنشود. إن المسؤولية الاجتماعية التي ينبغي ان تنميها الأسرة العراقية عند أبنائها منذ السنوات المبكرة لحياتهم تكون عبر عملية التنشئة الأسرية، هذه العملية التي تكون بمراحل نظامية كل مرحلة منها تسهم في تعليم الناشئة المهارات الاجتماعية ولعب الأدوار الوظيفية وبلورتها في شخصياتهم واكتساب القيم الحميدة ونبذ القيم الضالة والمنحرفة والتمرس بالأعمال وأدائها على نحو ينمي المجتمع ويمكنه من بلوغ الأهداف

---

[*] أستاذ علم الاجتماع – كلية الآداب / جامعة بغداد.

[١] الحسن،إحسان محمد (الدكتور). مهام الأسرة في مواجهة الأخطار والتحديات الأمنية اتحاد النساء العربي،بغداد، وحدة الدراسات والبحوث،١٩٩١،بغداد،ص٢١.

المتوخاة[١]. وجديرٌ بالذكر أن الأسرة بوصفها مؤسسة اجتماعية ليست وحدها مناطة بمهمة بلورة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء بل إن هناك مؤسسات أخرى تضطلع بهذه المهمة وعلى رأسها المدرسة والمجتمع المحلي والجامع ومكان العمل ووسائل الإعلام الجماهيرية ومنظمات المجتمع المدني[٢]، وإن التعاون والتنسيق بين هذه المؤسسات ينبغي أن يكونا موجودين عند قيام هذه المؤسسات بزرع مفردات المسؤولية الاجتماعية عند الناشئة والشباب لكي تكون هذه المفردات موحدة وفاعلة في التأثير في قيمهم وممارستهم وعلاقاتهم الاجتماعية اليومية والتفصيلية. وهنا يمكن أن تفعل المسؤولية الاجتماعية فعلها الواضح والمؤثر في تصعيد وتائر العمل الاجتماعي والنهوض بواقع المجتمع ومواجهة الأخطار والتحديات المحيطة به والانطلاق نحو تحقيق الأهداف العليا للمجتمع.

ان تعميق شعور المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد والجماعات عبر عملية التنشئة الأسرية والمجتمعية إنما يضمن المسيرة الصحيحة للمجتمع عن طريق تعميق الوعي الاجتماعي والسياسي للأفراد، هذا الوعي الذي يجعلهم تواقين لخدمة المجتمع والتضحية بالغالي والنفيس من اجل تقدمه ونهوضه وتحقيق أهدافه وإزالة او تخفيف حدة الأخطار والتحديات المحيطة به. أما عدم الاكتراث بمهمة تعميق المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد والجماعات فيكون سبباً من أسباب الانهيار والتداعي والتفكك والفشل في تحقيق أماني الفرد وطموحات المجتمع على حدٍ سواء.

تقوم هذه الدراسة التحليلية على أربعة مباحث رئيسة هي:

أ. التنشئة الأسرية والمسؤولية الاجتماعية.

---

(1) Johnson, H. Sociology: A Systematic Introduction, London, Routledge and Kegan Paul, 1982, PP. 127-129.

(٢) العباسي، سناء عبود. دور الأسرة في التنشئة السياسية. رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٣.

ب. مفردات المسؤولية الاجتماعية عند الأسرة العراقية.

ج. المشكلات التي تواجه الأسرة العراقية في تعميق المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء.

د. التوصيات والمعالجات لتعميق المسؤولية الاجتماعية عند الأسرة العراقية.

هـ. الخلاصة.

أ. التنشئة الأسرية والمسؤولية الاجتماعية

يعنى هذا المبحث بتعريف مصطلحي التنشئة الأسرية والمسؤولية الاجتماعية كل على انفراد ثم توضيح دور التنشئة الأسرية في زرع المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء وبلورتها وصقل معالمها لكي تكون مؤثرة في ممارساتهم اليومية وعلاقاتهم الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، فالتنشئة الاجتماعية كما عرفها أحد علماء الاجتماع هي عملية تلقين الفرد مقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه بحيث يصبح متدرباً على أشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي[١]، ومنهم من عرف التنشئة الاجتماعية بعملية تفاعل اجتماعي يكتسب الفرد من خلالها طرائق التفكير والشعور والسلوك التي تمكنه من المشاركة الفاعلة في المجتمع[٢]. ان تعريفي التنشئة الاجتماعية هذه انما تمكننا من فهم التنشئة الأسرية؛ لأن التنشئة الأخيرة هي جزء من التنشئة الاجتماعية، ويمكن تعريف التنشئة الأسرية بالعملية التي تتبناها الأسرة والتي تستطيع بها تمرير المهارات والأفكار والمعتقدات والقيم والمقاييس والمواقف إلى الأبناء بحيث تسهم في بلورة أدوارهم وتكامل شخصياتهم كأفراد فاعلين في المجتمع[٣]. ومنهم من عرف التنشئة الأسرية

---

(1) Mitchell, Duncan A Dictionary of Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1983, P. 194.

(2) Davis, K. Human Society. The Macmillan Co. , New York, 1967, P. 227.

(3) Johnson, H. Sociology: A Systematic Introduction, P. 110.

بمجموعة الأساليب النفسية والاجتماعية المقصودة او غير المقصودة، والواضحة او الضمنية التي تستعملها الأسرة بقصد إكساب الطفل سلوكاً أو تعديل سلوك موجود بالفعل[١]. وثمة مفهوم آخر للتنشئة الأسرية ينص على إنها عملية تعليم الأبناء اللغة والآداب والقيم والممارسات وفق نظامها الثقافي ومعاييرها واتجاهاتها التي ترتضيها لنفسها ويرتضيها المجتمع لها[٢].

أما المسؤولية الاجتماعية فقد اعتنى بتعريفها عدد من علماء الاجتماع وعلماء الأخلاق والفلسفة الاجتماعية، وعرفت المسؤولية الاجتماعية في أدبيات علم الاجتماع بأنها الشعور الواعي والمدرك لالتزامات الفرد تجاه جماعته ومجتمعه خصوصاً عندما تكون الجماعة والمجتمع بحاجة ماسة إلى جهود الفرد وتضحياته وعطاءاته التي ينبغي ان تستمر وتتصاعد بمرور الزمن[٣]. ومنهم من عرف المسؤولية الاجتماعية بأنها مجموعة الالتزامات والتعهدات التي بذمة الفرد والتي تدفعه إلى العمل من أجل المجموع، هذا العمل الذي يتوخى تنمية المجتمع وتطويره أو إزالة المشكلات والتحديات والأخطار المحيطة به من كل جانب[٤].

عرف بعض علماء الاجتماع المسؤولية الاجتماعية بأنها: ضرب من ضروب الوعي الاجتماعي الذي يجسده الفرد في تفكيره وسلوكه وعلاقاته مع الآخرين، وهذا الوعي يجعله يفصل المصلحة الجماعية على المصلحة

---

(1) Langton, K. Political Socialization, London Oxford University Press, 1979, P. 4.

(2) Hyman, Herbert, Family Socialization, New York, Free Prees, 1989, P. 25.

(3) Burt, M. Social Responsibility, London, The Bridge Press, 1988, P. 41.

(4) Volokov, S. The Development of Social and Political Responsibility, Progress Publishers, Moscow, 1980, P. 22.

الذاتية[١]. وعندما تطغى الروح الجماعية على الروح الفردية يبادر الفرد بالعمل من اجل الصالح العام والتخلي عن النوازع الذاتية والأنانية.

اما المختصون بعلم الأخلاق والفلسفة الاجتماعية فقد عرفوا المسؤولية الاجتماعية بأنها حس أخلاقي يتعلمه الفرد منذ الصغر، هذا الحس يدفعه إلى العمل من اجل مصلحة المجموع، ومثل هذا العمل يبني المجتمع ويطوره في المجالات كافة[٢]. وهناك من الفلاسفة الاجتماعيين الذين يعرفون المسؤولية الاجتماعية بمجموع الالتزامات التي يتقيد بها الفرد والتي توجه سلوكه وعلاقاته نحو المشاركة في خدمة الجماعة والمجتمع والابتعاد كلما كان ممكناً عن العواطف والنزعات الفردية التي تضر الجماعة وتمنعها عن تحقيق أهدافها الغائية[٣]. وثمة فلاسفة آخرون عرفوا المسؤولية الاجتماعية بمجموعة الميول والاتجاهات والمواقف الجمعية التي يحملها الأفراد إزاء ما ينبغي القيام به من مهام وواجبات تخدم المجتمع الكبير بهيئاته وفئاته وعناصره السكانية على اختلاف انحداراتها الاجتماعية والاثنية والفكرية والعقائدية[٤].

بعد تعريف كل من مصطلحي التنشئة الأسرية والمسؤولية الاجتماعية علينا توضح المهام التي ينبغي أن تضطلع بها عملية التنشئة الأسرية في تحديد معالم المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد والجماعات، مع تحديد ماهية الظروف والمعطيات التنشيئية التي تضطلع بها الأسرة عند قيامها بمهمة تنمية المسؤولية الاجتماعية عند الابناء، إن مهام التنشئة الأسرية في رسم

---

(1) Ferge, S. School, Family and Collective Responsibilty, Budapest, The Academy Press, 1984, PP. 13-15.

(2) Mackenzie, J. S. Outlines of Social Philosophy, Georg Allen and Uniwin, London, 1981, P. 57.

(3) Benn, S. and R. Peters. Social Principles and the Democratic State, George Allen and Unwin, London, 1989, P. 205.

(4) Ibid. , P. 206.

معالم المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد والجماعات يمكن إدراجها بالنقاط الآتية:

١. إن تكون التنشئة الأسرية التي يتحمل وزرها الأبوان وأولياء الأمور منصبة على تبصير الأحداث والناشئة بضرورة التفاني في خدمة المجموع فإنَّ مصلحة الجماعة والوطن تتقدم على مصلحة الفرد والأسرة[١].

٢. إن تكون التنشئة الأسرية مدفوعة نحو زرع قيمة الإيثار والتضحية في سبيل الآخرين عدد الأفراد منذ الصغر، وذلك لأنَّ قيمة الإيثار هي التي تدفع الإنسان إلى تحمل المسؤولية الجماعية والعمل وفق ما يريده المجتمع ويرتضيه لنفسه ضماناً لتحقيق الصالح العام.

٣. أن يبذل المربون والمسؤولون عن عملية التنشئة الأسرية قصارى جهودهم في الحفاظ على الأبناء من الشذوذ والانحراف والجريمة؛ لأنَّ هذه المظاهر السلوكية المنحرفة تضر بالمجتمع وتؤدي إلى انهياره وتداعيه، وهذا يكون عن طريق اعتماد الرعاية المكثفة مع الأبناء وتوفير ما يحتاجون إليه من مستلزمات وتوجيه النصائح والإرشادات لهم التي تقيهم من مصادر التلوث السلوكي والخلقي.

٤. توجيه الناشئة والشباب عبر عملية التنشئة الأسرية نحو التصدي لكل ما يضر بالمجتمع ويسيء الى سمعته ويعطل عجلة تقدمه ورقيه.

٥. رفد الأسرة بالمعارف والمعلومات والتقنيات التي يمكن أن تعتمدها في زرع قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء عبر عملية التنشئة الاسرية، ومن هذه المعارف والمعلومات توضيح فضائل المسؤولية الاجتماعية في وقاية المجتمع من الأمراض والأخطار والتحديات، واعتماد أساليب الثواب

---

(1) Sukhomlisky, V. On Education, Progress Publishers, Moscow, 1977, P. 287.

والعقاب في عملية التنشئة الأسرية التي تهدف إلى زرع قيمة المسؤولية الاجتماعية وتنميتها عند الأبناء.

اما الظروف والمعطيات التي ترافق عملية التنشئة الأسرية الهادفة إلى زرع قيمة المسؤولية الاجتماعية وبلورتها عند الأبناء فيمكن تحديدها بالنقاط الآتية:

١. ان تضع الأسرة برامجاً محددة تسير عليها عند قيامها بزرع قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء، هذه البرامج التي ينبغي أن تتسم بالتكامل والاتساق ووحدة الفكر والهدف[١].

٢. ان تستعمل عملية التنشئة الأسرية الهادفة إلى زرع قيمة المسؤولية الاجتماعية وتنميتها عند الأبناء أساليب الثواب والعقاب والموازنة بين أساليب اللين والشدة في تربية الأبناء واستدخال قيمة المسؤولية الاجتماعية عندهم. ومثل هذه الأساليب تؤدي فعلها المؤثر في قيام الأبناء باستدخال قيمة المسؤولية الاجتماعية كقيمة أساسية تؤثر في ممارساتهم وعلاقاتهم اليومية والتفصيلية.

٣. ان تكون عملية التنشئة الأسرية الهادفة إلى استدخال قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء متناغمة مع عمليات التنشئة المجتمعية التي تتولاها الجماعات المؤسسية في المجتمع مثل: المدارس والجوامع والمجتمعات المحلية ووسائل الإعلام الجماهيرية في زرع وتمرير قيمة المسؤولية الاجتماعية إلى الأبناء ومن في حكمهم[٢].

٤. أن تكون الأسرة ملمة بتقنيات التنشئة ومتمرسة في الأساليب التي نعتمدها في التأثير على أبنائها وحملهم على التحلي بالمسؤولية الاجتماعية

---

(1) Ibid. , P. 288.

(٢) العباسي، سناء عبود، دور الأسرة في التنشئة السياسية، ص ٨٢-٨٣.

التي تجعل منهم أناساً مضحين يعملون لمصلحة المجموع اكثر مما يعملون لمصلحتهم الخاصة.

ب. مفردات المسؤولية الاجتماعية عند الأسرة:

تنطوي المسؤولية الاجتماعية بوصفها قيمة اجتماعية أساسية تتمسك بها الأسرة وتجسدها في سلوكها اليومي والتفصيلي على عدة مفردات لها أهميتها الفاعلة في جعل الفرد كائناً اجتماعياً متفانياً في خدمة المجموع ومضحياً من اجل قضايا وطنه وأمته مقدماً مصلحة الجماعة والمجتمع على مصلحته الذاتية. وخدمة المجموع والتفاني من اجل المصلحة العامة. لا يعبران عن نفسهما في مجال أو مجالين وإنما يعبران عن نفسهما في مجالات عدة لعل أهمها تسلح الفرد بالوعي الاجتماعي والسياسي الذي تتطلبه ظروف المجتمع ومشكلاته، وتربيته وتقويم سلوكه الاجتماعي، وتعليمه وتدريبه على امتهان مختلف الأعمال والمهن التي يحتاجها المجتمع وحثه على زيادة الإنتاج الاجتماعي كماً ونوعاً، وتحفيزه على الاقتصاد في النفقات وترشيد الاستهلاك، و أخيرا حثه على الدفاع عن المجتمع وحمايته من الأخطار والتحديات. والآن علينا دراسة وتحليل مفردات المسؤولية الاجتماعية التي تضطلع بها الأسرة.

١. تسلح الفرد بالوعي الاجتماعي والسياسي

من مفردات المسؤولية الاجتماعية عند الأسرة قيامها بتسلح الفرد بالوعي الاجتماعي والسياسي الذي يجعله يقظاً وحذراً من الأخطار والتحديات المحيطة به، ومستوعباً لدوره الاجتماعي وأدوار الآخرين، ومدركاً لطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه والمرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها، وملماً بالمشكلات التي يعاني منها المجتمع وكيفية التعامل معها وطرائق حلولها والقضاء عليها[١]. إضافة إلى قدرة الفرد على الفرز الصحيح والهادف بين

(١) المصدر السابق، ص ٦٠-٦٢.

القيم الإيجابية الموجودة في المجتمع كالتعاون والثقة العالية بالنفس والشجاعة والبطولة والصراحة والصدق والإيمان والموازنة بين الواجبات والحقوق.. . . الخ، والقيم السلبية كالأنانية وحب الذات والفردية والانعزالية والانطواء على النفس والطائفية والعنصرية والتحيز والتعصب والإقليمية والطبقية، مع اعتماد القيم الإيجابية في السلوك والتعامل مع الآخرين والتخلي عن القيم السلبية ونبذها وإدانتها.

اما الوعي السياسي الذي ينبغي أن تنميه الأسرة عند الفرد فيعبر عن نفسه في مجالات عديدة ولعل أهمها إدراك الظروف السياسية الصعبة التي يمر بها المجتمع ودور القوى المعادية في افتعالها وخلقها لكي تكون حجر عثرة في طريق التقدم والنهوض والسيادة وكيفية مواجهتها والتصدي لها وتطويق آثارها الهدامة[١]، إضافة إلى معرفة الأخطار والتحديات السياسية والأمنية التي تواجه المجتمع وتشخيص مصادرها والإلمام الكامل بأساليبها وخططها والإجراءات التي يمكن ان تتخذ لتطويقها ووضع حدٍ لها. وأخيراً معرفة الأسباب الحقيقية للعدوان والتآمر والتدخل غير المسؤول الذي يتعرض له الوطن العربي وماهية السبل التي يمكن ان تتخذ لمواجهة هذه الظواهر السياسية والقضاء عليها، علماً أنَّ الوحدة والتعاون بين الفئات الاجتماعية الموجودة في الساحة هما السبيلان القويمان لمواجهة كل الأخطار والمشكلات السياسية التي يتعرض لها الوطن في الوقت الحاضر.

٢. تربية الأبناء وتنمية سلوكها الاجتماعي

من المهام الأساسية التي تضطلع بها الأسرة والتي تساعد في تعميق المسؤولية الاجتماعية عند أبنائها تربية الأبناء تربية قويمة من شأنها أن تزرع عندهم المبادئ والقيم الإيجابية التي تؤثر تأثيراً جيداً وفاعلاً في سلوكهم اليومي وعلاقاتهم الاجتماعية التي يكونونها مع الآخرين. كما ان مثل هذه

---

[١] المصدر السابق، ص ٧١-٧٢.

التربية الصحيحة تبعدهم عن مواطن الانحراف والجريمة وتساعدهم في وحدة أفكارهم وممارساتهم[١]. ومثل هذه الوحدة انما تمكنهم من بلوغ غاياتهم وأهدافهم القريبة والبعيدة.

ولا تنحصر مهام الأسرة في تربية الأبناء وتدريبهم على حسن التعامل والتفاعل مع الآخرين فحسب بل تتعدى ذلك إلى تنمية سلوكهم الاجتماعي عن طريق تحويله من سلوك انفعالي غريزي إلى سلوك منطقي وعقلاني. ومثل هذا التحول في السلوك له أهميته الكبرى في استقرار الفرد وتكييفه إلى العالم الخارجي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه. علماً أنَّ تربية الأبناء وتقويم سلوكهم يشاركان مشاركة فاعلة ومثمرة في تنمية المسؤولية الجماعية عندهم، فهذه المسؤولية هي التي تجعلهم يعملون للمصلحة الجماعية اكثر مما يعملون لمصالحهم الخاصة.

٣. التعليم والتدريب وامتهان الأعمال الوظيفية

من المفردات التي تساعد على تنمية المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد والتي يمكن ان تتبناها الأسرة تعليم أبنائها على مختلف العلوم والفنون والاختصاصات التي يحتاجها ويثمنها المجتمع الكبير وتدريبهم عليها. فالأسرة هي التي تحفز أبناءها على طلب العلم والمعرفة عن طريق تسجيلهم في المدارس وحثهم على الدوام المستمر والسعي والاجتهاد واجتياز الامتحانات الفصلية والنهائية و إطاعة قوانين المدرسة وحماية ممتلكاتها المنقولة وغير المنقولة ضماناً للصالح العام[٢]، كما أن الأسرة هي التي ترشد أولادها على التخصص في الموضوعات التي يحتاجها المجتمع وتوفر

---

(1) Ferge, S. School, Family and Collective Responsibility, P. 83.

[٢] علي، صباح الدين، الخدمة الاجتماعية، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٤٠٨.

لهم كل ما من شأنه. أن يمكنهم من الاستفادة من الدراسة والتحصيل العلمي.

لكن الأسرة لا تتوقف عند حد تربية أبنائها وتمكنهم من التحصيل العلمي والتدريب التقني وتعليمهم وتثقيفهم بل وانها تلعب الدور الفاعل في زجهم في الأعمال التي تتلاءم مع تدريبهم وتخصصهم المهني والعلمي، علماً أن كلاً من التعليم والتدريب وامتهان العمل الوظيفي ينمي شعور المسؤولية الجماعية عند الأفراد، هذا الشعور الذي يجعلهم مواطنين صالحين يمكن الاعتماد عليهم في حركة البناء وإعادة البناء والتقدم الاجتماعي.

٤. زيادة الإنتاج وتحسين نوعية الخدمات

لكي تنمي الأسرة شعور المسؤولية الاجتماعية عند أبنائها عليها ان تحثهم على زيادة الإنتاج وتحسين نوعية الخدمات التي يقدمونها للمجتمع؛ لأن الأسرة مطالبة بإرشاد أبنائها على زيادة الإنتاج كماً ونوعاً فزيادة الإنتاج تعني توافر السلع في الأسواق بكميات كبيرة وانخفاض أسعارها ومن ثم زيادة الطلب الفاعل عليها[١]، علاوة على أن زيادة الطلب على السلع على اختلاف أنواعها تشجع أرباب الأعمال على رفع معدلات الإنتاج وتوسيع الكفاءة الإنتاجية. وهذا ما يزيد كمية الأرباح لأرباب العمل ويحفزهم على إدخال التقنيات والطرائق الحديثة في الإنتاج.

كما يتطلب من الأسرة دفع أبنائها إلى تحسين نوعية الخدمات التي يقدمونها للمجتمع من خلال الالتزام بقوانين العمل وصيغه النظامية والدقة في أدائه. وإذا حدث هذا فإن الدوائر الخدمية على اختلاف مهامها واختصاصاتها ستستطيع ان تنمو وتتطور وتحقق أهدافها المخططة، إذا

---

[١] الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، دور العائلة العراقية في اقتصاد الحرب، مجلة النفط والتنمية، حزيران، ١٩٨٨، ص ٧٧.

فللأسرة دور فاعل في زرع قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد، هذه القيمة التي تجعل الأبناء يعملون وينتجون ويخدمون المجتمع ويضحون في سبيله لأن هذه القيمة الاجتماعية التي يحملونها تجعلهم يفضلون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ويقدمون الجماعة والمجتمع على أنفسهم وأغراضهم الذاتية.

٥. الدفاع عن المجتمع وحمايته من الأخطار والتحديات

من مفردات المسؤولية الاجتماعية التي تضطلع بها الأسرة تعليم الأبناء وحثهم دوماً على ضرورة الدفاع عن المجتمع وحمايته من الأخطار والتحديات. فالأبناء منذ السن المبكر ينبغي إيقاظ عقولهم وضمائرهم وتعميق مسؤولياتهم الوطنية والقومية بالدفاع عن قضايا الأمة ومواجهة الأخطار والتهديدات والمؤامرات المستمرة التي تتعرض لها[١]. وخير ممن يقوم بهذا الواجب الأسرة التي تعد أولى المؤسسات المسؤولة عن تربية الأبناء وزرع القيم والخصال الإيجابية والحميدة عندهم؛ لأن الأسرة ينبغي عليها منذ البدء تعميق الشعور الوطني والقومي عند الأبناء، وحثهم على استيعاب طبيعة وحجم الأخطار المحدقة بالأمة وتعريفهم بمصادر هذه الأخطار وكيفية مواجهتها، فضلا عن دورها التوجيهي والإرشادي في مواجهة جميع الفتن والانقسامات ومظاهر التصدع والتداعي التي قد تشهدها الجبهة الداخلية، هذه المواجهة التي لا تتصدى للفتن والانقسامات فحسب تعمل ما في استطاعتها على تحقيق الوحدة الداخلية ورص الصفوف وخلق حالة التماسك التي تقوي أركان المجتمع وتمكنه من تحقيق أهدافه الكرى أيضا.

جـ. المشكلات التي تواجه الأسرة العراقية في تنمية المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء

---

[١] المصدر السابق، ص ٨٠.

إن زرع قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء وتنميتها عندهم بحيث تكون جزءاً لا يتجزأ من شخصياتهم وقوة من القوى الأساسية المؤثرة في سلوكهم اليومي والتفصيلي ليست بالعملية السهلة أو العابرة التي تتبناها الأسرة مع أبنائها كما يتصور البض، بل هي عملية معقدة وشائكة تتطلب جهوداً استثنائية وتستغرق وقتا طويلاً وتستلزم تظافر جهود وإمكانات اكثر من مؤسسة واحدة في آن واحد[1]، فالأسرة العراقية في الوقت الحاضر تجاه عدة مشكلات عند قيامها بإيقاظ الحس الجمعي والمسؤولية الاجتماعية عند أبنائها عبر عملية التنشئة الاجتماعية، ولعل من أهم هذه المشكلات والصعوبات التي تواجهها ما يأتي:

١. ضعف أساليب التنشئة الأسرية

من المشكلات الأساسية التي تحول دون نجاح الأسرة في زرع مبادئ وقيم المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء وترسيخها عندهم ضعف أساليبها التنشيئية والتربوية. فالأسرة في الأعم الأغلب تجهل الأساليب الصحيحة والسليمة في تنشئة الأبناء، وهذه الأساليب التي تعتمد على الرعاية المكثفة والملازمة المستمرة للأبناء أثناء عملية التدريب والتعليم، وتعتمد أيضا على الموازنة بين أساليب اللين والشدة عند تربية الأبناء، إضافة إلى تبنيها مبدأ استعمال الثواب والعقاب في التنشئة الأسرية، وكذلك لا تمتلك معظم الأسر الرؤى السليمة نحو القيم الإيجابية المطلوب زرعها عند الأبناء والقيم المنحرفة والضالة المطلوب محاربتها واستئصالها لكي لا تكون أدواتاً ومعولاً للهدم والتدمير وإفساد العقول والضمائر.

يضاف إلى كل هذا ضعف الإمكانات المادية والاجتماعية والثقافية عند الأسرة التي تجعلها غير قادرة على تربية الأبناء وزرع قيمة المسؤولية

---

(1) Frege, S. School, Family and Collective Responsibility, P. 89.

الاجتماعية عندهم[١]. وضعف هذه الإمكانات يسيء إلى دور الأسرة في عملية التنمية الاجتماعية ويطلق عنان الجماعات الأخرى ولا سيما جماعات اللعب في التأثير السيئ على سلوك الأبناء وعلاقاتهم وأفكارهم ومبادئهم وقيمهم، وهنا تضعف قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء ويكون سلوكهم فردياً ونفعياً وآنياً بعيداً عما يريده المجتمع ويرتضيه لنفسه وللآخرين.

٢. ضعف الوعي الاجتماعي والسياسي عند الأسرة

عندما يكون الوعي الاجتماعي والسياسي عند الأسرة ضعيفاً فانها تكون بدون شك غير قادرة على زرع قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء وبلورتها فيهم، علماً أنَّ ضعف الوعي الاجتماعي للأسرة يحولها إلى كيان لا يميز بين ما هو نافع وبناء وبين ما هو ضار وهدام، والأسرة في هذه الحالة تخلط بين القيم الإيجابية والقيم السلبية ولا تفرق بينها، ولا تعلم الناشئة والصغار ماهية أدوارهم الوظيفية وعلاقتها بأدوار الآخرين. وهذا ما يجعلهم لا يميزون بين الحقوق والواجبات، وعدم تمييزهم هذا انما يقتل إحساس العدالة الاجتماعية فيهم ويولد نوازع القسوة والاستهتار عندهم مما يجعلهم غير متكيفين للمجتمع وناقمين عليه وساخطين على أبنائه، وحالة كهذه تجعلهم أنانيين يعملون لمصلحتهم الخاصة ويقفون ضد مصلحة المجتمع[٢].

اما ضعف الوعي السياسي عند الأسرة فلا يدفعها إلى الاهتمام بتنمية قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء. فالأسرة لا تثقف أبنائها بماهية الأخطار المحدقة بالأمة ولا تحثهم على مواجهة هذه الأخطار والتصدي لها، كما انها لا تعير أهمية إلى موضوع الوحدة والتماسك والتعاون والتكافل بين

---

[١] الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، رصد الظواهر المدانة في الأسرة العربية، بحث مقدم إلى اتحاد النساء العربي، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٩.

[2] Volokov, S. The Development of Social and Political Responsibility, P. 201.

الأفراد والجماعات، هذا الموضوع الذي يخلق شعور الوحدة والعمل الجماعي عند الأبناء، الأمر الذي يحفزهم على التضامن مع الآخرين والتكاتف معهم من اجل تحمل الأعباء والمسؤوليات التي تخدم أماني وطموحات الجميع وتدافع عن قضاياهم الخاصة والعامة وتصون المجتمع من الأخطار المحدقة به. وفي غياب المسؤولية الجماعية لا يكون الأفراد قادرين على أداء المهام الوطنية والقومية.

٣. تقاطع الجماعات المؤسسية

من المشكلات الأساسية التي تواجه الأسرة العراقية في تنمية المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء انتماء الأخيرين إلى جماعات مؤسسية أو مرجعية مختلفة كالمدارس وجماعات اللعب والجوامع والمساجد والمجتمعات المحلية. علماً أنَّ كل جماعة مؤسسية من هذه الجماعات تزود الأبناء بخبر وتجارب ومعلومات وحقائق تختلف عن تلك التي تزودهم بها الجماعات المؤسسية الأخرى[١]، فقد تركز الأسرة في تربية أبنائها على موضوع تنمية المسؤولية الاجتماعية عندهم ولكن جماعة اللعب أو وسائل الإعلام أو المجتمع المحلي قد تزود الأبناء بمعلومات متناقضة فيما يتعلق بالمسؤولية الاجتماعية عن المعلومات التي يحصلون عليها من الأسرة بصدد هذا الموضوع، فجماعة اللعب مثلا قد تنمي عند الأبناء القيم الفردية والأنانية والنفعية والمصلحية التي تتعاكس مع قيمة المسؤولية الاجتماعية التي تريد الأسرة بلورتها عند الأبناء، وحالة كهذه تجعل الأبناء لا يتمسكون بقيمة المسؤولية الجماعية؛ لان هناك جماعات مؤسسية تحثهم على التمسك بقيم الفردية والأنانية[٢]. فيحدث التصادم والتقاطع بين قيم الأسرة وقيم جماعة

---

(1) Biesamz, M. Introduction to Sociologyy, Prentic-Hall, New Jersey, 1973, P. 388.

(2) Ibid. , P. 389.

اللعب أو وسائل الإعلام. ومثل هذا التقاطع يؤدي دوره المخرب في تصدع شخصية الأبناء وإضعافها وعدم قدرتها على بناء المجتمع وتقويمه.

٤. سيطرة النوازع الفردية والمادية على النوازع الجماعية والروحية

من المشكلات الخطيرة التي تعيق الأسرة في زرع وتنمية المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء سيطرة النوازع الفردية والمادية على النوازع الجماعية والروحية، هذه السيطرة التي تجعل مهمة تنمية وتعميق المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء صعبة إذا لم تكن مستحيلة، فالأسرة تتمكن بسهولة من تمرير القيم الجمعية إلى الأبناء إذا كان المجتمع يؤمن بهذه القيم ولدية الرغبة الصادقة على نشرها في كل مكان. ولكن عندما تكون القيم الفردية والأنانية والمادية هي السائدة فيستحيل على الأسرة وبقية الجماعات المؤسسية زرع قيمة المسؤولية الجماعية في الأبناء وتنميتها عندهم[١]، أما أسباب سيطرة النوازع الفردية والجماعية فترجع إلى قوى ومؤثرات عدة ولعل أهمها شيوع مظاهر التحضر والتنمية والتحديث والتصنيع، هذه المظاهر التي تصدع وحدة المجتمعات المحلية والمؤسسات التقليدية وتفكك القيم والممارسات السلوكية وتوسيع الهوة الحضارية بين العاملين المادي والمثالي،مما ينتج عن ذلك بروز مشكلة التخلف الحضاري التي تعد من اخطر المشكلات التي تواجه القيم والمقاييس الإيجابية التي يحتاجها المجتمع أثناء عملية تحوله الاجتماعي والحضاري ولا سيما القيم التعاونية والجماعية وعلى رأسها قيمة المسؤولية الاجتماعية. إضافة إلى دور هذه المظاهر في إضعاف وسائل الضبط الاجتماعي الداخلية منها والخارجية، فعندما تضعف هذه الوسائل الضبطية فان سلوك الفرد يتحول في الأعم الأغلب من سلوك ملتزم ومنضبط ورشيد إلى سلوك متسيب ومنفلت وانفعالي مما يؤثر ذلك سلباً في مسيرة المجتمع ونهوضه وتقدمه.

---

(1) Ferge, S. School, Family and Collective Responsibility, P. 94.

د. التوصيات والمعالجات الخاصة بتقوية دور الأسرة العراقية في تنمية المسؤولية الاجتماعية

يمكن تعزيز دور الأسرة وزيادة فاعليتها في تنمية المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء عن طريق التوصيات والمعالجات الآتية:

١. تزويد الأسرة بالأساليب والطرائق الناجحة للتنشئة الاجتماعية والمعتمدة على الرعاية المكثفة والموازنة بين أساليب اللين والشدة واستعمال أساليب الثواب والعقاب، هذه الأساليب التي تمكن الأسرة من زرع وتعميق قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الابناء، والجهات التي يمكن أن تزود الأسرة بالطرائق القومية للتنشئة الاجتماعية هي وسائل الإعلام الجماهيرية ومؤسسات البحث والرعاية الاجتماعية، والمدارس والعاهد والكليات، وأماكن العبادة وقادة المجتمعات المحلية، وأخيرا المنظمات الجماهيرية والشعبية والحزبية مع منظمات المجتمع المدني.

٢. تبصير الأسرة بالقيم والممارسات الإيجابية التي ينبغي ان تحتضنها ولا سيما قيم التعاون والإيثار والمسؤولية الاجتماعية والتكافل مع تحذيرها من آثار القيم السلبية والضارة خصوصاً قيم الفردية والانعزالية والمنفعية والمادية والكسب السريع لكي تبتعد عنها وتتخلى عن ممارساتها وسياقاتها المؤذية.

٣. الترفيه عن الأسرة مادياً واجتماعياً وزيادة إمكاناتها وقدراتها الثقافية والتربوية لكي تكون في وضع يمكنها من تربية الصغار والناشئة على القيم الإيجابية والبناءة ومنها قيمة المسؤولية الاجتماعية.

٤. ضرورية تعميق الوعي الاجتماعي والسياسي للأسرة لكي تكون مدركة لمهامها التنشيئية والاجتماعية والأخلاقية وعارفة بالمسؤوليات السياسية الملقاة على عاتقها ولا سيما تربية الناشئة والشباب تربية إيجابية وفاعلة تجعلهم يضحون من اجل استقلالية المجتمع العراقي وسيادته وحريته وتنميته وتقدمه الشامل، والدفاع عنه ضد الأخطار والتحديات والمؤامرات التي

يحوكها الأعداء والحاقدون ضد أمنه وسيادته واستقلاليته. اما الجهات المسؤولة عن تعميق الوعي الاجتماعي والسياسي عند الأسرة لكي تكون بمنأى عن الأخطار الاجتماعية والتهديدات السياسية فهي المنظمات المهنية والجماهيرية والشعبية ووسائل الإعلام والمؤسسات التربوية والتعليمية والقيادات المحلية والوطنية.

٥. ضرورة حث الجماعات المؤسسية أو المرجعية كالأسرة والمدرسة والمجتمع المحلي ووسائل الإعلام الجماهيرية والمنظمات المهنية والجماهيرية والشعبية ومنظمات المجتمع المدني على التعاون والتنسيق فيما بينها من اجل توحيد سياستها ومبادئها وقيمها الخاصة بتنمية وتوطيد قيمة المسؤولية الاجتماعية عندها لكي تؤدي فعلها المؤثر في الأبناء عند تربيتهم وتقويم سلوكهم وتعميق شعورهم بالمسؤولية الاجتماعية التي تجعلهم يفضلون المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية. علاوة على اثر ذلك في نمو شخصية الأبناء وعدم تصدعها وانفصامها.

٦. ضرورة حث الأسرة على التمسك بالقيم والنوازع الجماعية والروحية ونبذ النوازع الفردية الأنانية والنفعية والمصلحية والمادية في وقت أصبحت فيه الممارسات المادية هي الطاغية والمسيطرة على الحياة الاجتماعية والحضارية. وإذا ما تحررت الأسرة من قيمها وميولها واتجاهاتها الفردية والأنانية فانها تستطيع ان تعتمد القيم والميول والاتجاهات الجمعية والإنسانية التي تجعلها تعمل لمصلحة المجموع اكثر مما تعمل لمصلحة أفرادها ومنتسبيها. وهنا تكون الأسرة خلية فاعلة في قلب الأمة تعي واجباتها ومسؤولياتها وتؤديها على نحو صادق وبناء خدمة للأهداف العليا للامة العربية المجيدة.

هـ. الخلاصة

الأسرة هي من أهم الجماعات المرجعية المسؤولة عن تربية الجيل الجديد وتقويمه والارتفاع به إلى مستويات ترتقي إلى طبيعة التحديات والأخطار التي تهدد استقرار الأسرة و أمنها الاجتماعي وتنميتها وحاضرها ومستقبلها، وتهدف عملية التربية الأسرية إلى تعميق المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء، تلك المسؤولية التي تجعلهم مدركين للمهام والواجبات التي تناط بهم، ومستوعبين لطبيعة المرحلة الحضارية والتاريخية التي يمر بها مجتمعهم، ومتسلحين بالوعي الاجتماعي والسياسي الذي يمكنهم من درء الأخطار ومواجهة الصعاب، وملمين بماهية ما ينتظره المجتمع منهم من أعمال مهمة وتضحيات جسيمة وعطاءات غير محدودة تضمن مسيرة المجتمع نحو تحقيق أهدافها العليا.

ان المسؤولية الاجتماعية التي ينبغي على الأسرة تنميتها عند أبنائها منذ السنوات المبكرة لحياتهم تكون عبر عملية التنشئة الأسرية، هذه العملية التي تكون بمراحل نظامية كل مرحلة منها تسهم في تعليم الناشئة المهارات الاجتماعية ولعب الأدوار الوظيفية وبلورتها في شخصياتهم واكتساب القيم الحميدة ونبذ القيم الضالة والمنحرفة والتمرس بالأعمال و أدائها على نحو ينمي المجتمع ويمكنه من بلوغ الأهداف المتوخاة. علماً بأن الأسرة كمؤسسة اجتماعية ليست وحدها مناطة بمهمة بلورة المسؤولية الاجتماعية عند الأبناء، بل ثمة مؤسسات أخرى تضطلع بهذه المهمة وعلى رأسها المدرسة والمجتمع المحلي والجامع ومكان العمل ووسائل الإعلام الجماهيرية والمنظمات المهنية والشعبية، وان التعاون والتنسيق بين هذه المؤسسات، ينبغي أن يكونا موجودين عند قيام هذه المؤسسات بزرع مفردات المسؤولية الاجتماعية عند الناشئة والشباب لكي تكون هذه المفردات موحدة وفاعلة في التأثير في قيمهم وممارستهم وعلاقاتهم الاجتماعية والتفصيلية. وهنا يمكن ان تفعل المسؤولية الاجتماعية فعلها الواضح والمؤثر في تصعيد وتأثر العمل الاجتماعي

والنهوض بواقع المجتمع ومواجهة الأخطار والتحديات المحيطة به والانطلاق نحو تحقيق الأهداف المتوخاة.

ان تعميق شعور المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد والجماعات عبر عملية التنشئة الأسرية والمجتمعية انما يضمن المسيرة الصحيحة للمجتمع عن طريق تعميق الوعي الاجتماعي والسياسي للأفراد فهذا الوعي هو الذي يجعلهم تواقين لخدمة المجتمع والتضحية بالغالي والنفيس من اجل تقدمه ونهوضه وتحقيق أهدافه وإزالة أو تخفيف حدة الأخطار والتحديات التي تواجهه، اما عدم الاكتراث بمهمة تعميق المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد والجماعات فيكون سبباً من أسباب الانهيار والتداعي والتفكك والفشل في تحقيق أماني الفرد وطموحات المجتمع على حدٍ سواء.

The Role of the Iraqi Family in Developing the Social Responsibility

(*) **Dr. Ihsān M. hassan**

Iraqi family is considered as one of the institutional group responsible for educating well being generation that are able to encounter the risks and challenges threatening the security of the Iraqi family. This study shows the relation between the domestic education and the social responsibility, the problems that face Iraqi family while deepening the social responsibility upon their children and finally some recommendations and solutions were stated to resolve the problems under discussion.

(*) Dept. of Sociology- College of Arts/ University of Mosul.